جامعة سيّدة اللويزة

٢٠١٥/٥/٧

"دور الجامعة في مواجهة العنف والإرهاب"

كلمة رئيس جامعة سيّدة اللويزة الأب وليد موسى

في الاحتفال السنوي بمناسبة عيد تأسيس الجامعة

أيها الأحبّاء

ها نحن نطوي السنة الثامنة والعشرين من عمر جامعتنا، ونضيء شمعة كما في أعياد الميلاد، نحاول أن نحميها من الانطفاء، ولن تنطفىء. كثيرون في مثل هذه المناسبات، يطلقون أسهماً ناريّة تنطفىء بعد لحظات. أما نحن، ومنذ تأسيسنا لهذه الجامعة، إنما نحاول إضاءة الشموع، صلاةً والتزاماً وتواضعاً، وتتوالى أيّام السنة ونحن نحاول أن نستنير بالشمعة وأن نصونها من ريح هوجاء أو عاصفة رعناء، وما أكثرها في هذا الوطن وفي هذه المنطقة من العالم.

أجل، أيها الأصدقاء، نحن لم ندّع يوماً، ولا ندّعي أنّنا منارات، ولكنّنا نؤكّد سعينا الدائم، بمحبّتكم وتعاونكم وتفاعلكم، لكي نكون هذه المنارة التي يفتخر بها لبنان ويعتزّ.

هذه المقدّمة هي المفتاح لكلمتي اليوم التي تختصر الصراع الذي نعيشه بين أهل العنف وبين أهل السلام. فمن ينتصر؟ وهل تتغلّب الريح الهوجاء والعاصفة الرعناء على شمعة الجامعة، على سراج الثقافة، على أبناء السلام والمحبّة والانفتاح؟

تعالوا معي نستعرض عناوين وسائل الإعلام، وما تقدّمه لنا من صور وأخبار وفضائح: إبادة، خطف، قتل، اغتصاب، طائرات تقصف، أطنان من الديناميت، تسلّح

أعمى، وأموال تُهدر، وتشرّد وتهجير ونزوح، وأطفال في الشوارع والأزقّة، وأمراض وأوبئة... وبعد ذلك، تهديدات واتهامات وتصفيات واغتيالات.

ماذا يشاهد أولادنا، في المدارس والجامعات، غير هذه الصور؟ فإنّ أضفنا إليها، أفلام العنف والجنس والمافيات المتعدّدة، لتبيّن لنا أن حياتنا الاجتماعية، في معظم مفاصلها، تنشىء أولادنا على العنف، وهذا ما نلاحظه عند البعض في المدارس والجامعات:

التخلّي عن القيم، عدم احترام الأهل والكبار، استخدام الكلمات البذيئة، الشتم والضرب والتهديد، قيادة السيارات بطريقة مجنونة، الاستهزاء بكلّ القيم الروحية والمدنية، الخروج عن سيطرة الأهل، الاندفاع الى الشارع والى التعامل مع المخدّرات والممنوعات على تعدّدها.

ومن مظاهر هذا العنف اللجوء الى اقتناء الأسلحة والى حملها، أحياناً، والى استخدامها، بحيث لا يمرّ يوم إلاّ وتحمل لنا الأخبار، العثور على جثّة هنا، أو إطلاق رصاص هناك.

ولا أستثني، ما يحدث في الملاعب الرياضية، وظاهرة إطلاق النار عند ظهور هذا الزعيم أو الاستماع الى خطبه، أو عند تشييع هذا الشهيد أو زفاف تلك الفتاة.

أجل، تعبت عيوننا وآذاننا من مشاهد الدم والنعوش، ومن تعداد أسماء الشهداء ومن سماع أفكار البغضاء والحقد.

ماذا نفعل؟ ما هو دورنا؟

يقول أنشتاين: ***"لن يتدمّر العالم بقوّة الأشرار، بل بأيدي الذين يرون الشرّ ويسكتون عليه."***

أيها الأصدقاء

هذا هو التحدّي.

حرام أن نسكت على الشرّ، دورنا أن نتصدّى لظاهرة العنف، وليس أجدر من الجامعات في تحويل صفوفها ومناهجها وقاعاتها الى مقار تنادي بالسلام والمحبّة واحترام الآخر، ولنعلم أن العنف ليس القوّة، بل العكس، العنف ضعف. ضعاف النفوس هم أكثر الناس عنفاً واعتداداً "بالعنفوان" (والعنفوان مصدره عنف).

إنّه نداء أتوجّه به الى زملائي في التربية، في المدارس والجامعات وفي وسائل الإعلام: الله يدعونا، آباؤنا والأجداد، أديانّنا، تاريخنا، القيم التي آمنّا بها، كلّها تدعونا الى التصدّي، بدقّة ووعي، لظاهرة العنف.

منذ يسوع المسيح، وهو ينادي بالسلام، وبترك السيف، ومن أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ.

ما حارب يسوع، بل ارتضى أن يموت صلباً، فداءً للبشريّة، دون أن يسبّب أي أذى، لرجل باعه، ولآخر ضربه، ولثالث سقاه المرّ، ولرابع طعنه بحربة.

قِبلَ ذلك كلّه، لا بذلّ أو خوف، بل ليعلّمنا، أن حكاية "العين بالعين والسنّ بالسنّ"، قد انتَهت، واذا قيل لكم ذلك، فأنا أقول: أحبّوا أعداءكم.

ترك يسوع وصاياه، وحمّل رسله وخلفاءه على كرسي روما، مسؤولية نبذ العنف ونشر راية السلام.

في إرشاده الرسولي: **رجاء جديد للبنان**، سنة ١٩٩٧، خاطبنا القديس البابا الراحل يوحنا بولس الثاني قائلاً: *"إن الذين يعملون على تربية الأجيال الجديدة مدعوون الى الاقتناع بأن كل انسان هو أخونا. ولتكن خاتمة الحرب المسلحة خاتمة لتنازع المصالح الشخصيّة التي تصبح أحياناً أشدّ خطراً لأنّها تقود الى صراع الكلّ ضدّ الكلّ" (٩٨).*

وفي رسالته العامّة الأولى: **شركة ومحبّة** سنة ٢٠١٢، يطلق سيّدنا البطريرك مار بشارة بطرس الراعي: *"إن التنافس السياسي طبيعي ومطلوب في الديمقراطية، ولكن أن يستمرّ الأفرقاء المتنازعون سياسياً في السعي الى الإلغاء المتبادل وحتى التخوين أحياناً، فأمر غير مفيد" (٥٤).*

ومن يعود منّا الى التاريخ الحديث يتبيّن لنا أن السلام المنشود لا يقوم على سيطرة البندقية أو الطائرة بل على الحوار والاقتناع بوجود آخر مختلف، لا يمكن اقتلاعه من مجتمعه أو من أرضه أو من معتقداته... واذا تجاوزت مسيحيتي وقصدت الاسلام بمصدريه القرآن الكريم والحديث النبوي، لقرأنا الآية التالية: *"أيها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة..."* ثمّ: *"يا أيها الناس أنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، أن أكرمكم عند الله أتقاكم"*. ثمّ *"إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلّكم تُرحمون."* فلا عنف، ولا صراخ، ولا إرهاب، وحرام أن تقترن "الله أكبر" بذبح ونسف وانتحار.

ولو كان لي أن أستشهد بنيتشه، وهو عند البعض، فيلسوف العنف، فإنّني أذكر حكاية لسعة الأفعى، حيث تراجعت الأفعى التي لسعت عنق زردشت، وطوّقت هذا العنق ومصّت ما في جرحه من سموم.

ولا ننسى، حفّار القبور، مع جبران، الذي تحوّل من العنف والتمرّد الى يسوع ابن الانسان والنبي.

أما "لاوتسو" الصيني فكان يقول: *"المجاعة تولّد دائماً المعارك. من يفرح بقتل الناس كيف يحكم الدولة؟"*

وفي رسالة وجهها الكبير جواهر آل نهرو الى ابنته أنديرا، جاءت الإشارة التالية: **"غاندي، يا أنديرا، كان أقوى، بصمته، من أصحاب الضجيج والظواهر الصوتية. الهند لم تتحرّر بالسيف، بل بمواقف اللاعنف التي اتخذها هذا الرجل العظيم: غاندي."**

نحن مدعوون، أيها الأخوة، الى تربية أجيالنا الجديدة على اللاعنف.

كيف ذلك؟

لن أدّعي أنني أملك عصا سحريّة أو نصائح أعجوبيّة، ولكنّني، في مواجهة، ما نراه من تطرّف أعمى، من تعصّب أسود، من جنون في القتل والسحل والذبح وبقر

البطون وفقأ العيون، أدعو الى مؤتمر خاص، مع المسؤولين جميعاً، للتصدّي لظاهرة العنف.

ومن يرى ما يحدثه التعصّب الأعمى من جرائم تتمثّل في تدمير الحضارة العالمية (التماثيل، الكنائس، المقامات، المساجد، المتاحف) لا يستطيع أن يخبّىء وجهه في الرمال، بل عليه، أن يرفع الصوت، ويتّخذ الموقف المضاد الذي يجعل الناس في يقظة وانتفاضة ضدّ هذا الظلم والفساد والجريمة.

إن الزمن الذي نعيش أحداثه المؤلمة، لا يرحم، ولا التاريخ، ولهذا أتوجّه بنداء آخر الى الأهل والمدارس:

١- الى الأهل: يشعر بعضنا بظاهرة الاستقالة من تربية الأولاد، وتعريضهم لكلّ أنواع المسلّيات والإغراءات، ولا سيّما من خلال تفاعلهم الإيجابي مع الإلكترونيات الحديثة، التي، واشهدوا عليّ، ستولّد في نفوسهم، الكثير من روح التنافس والتضارب والحسد والحقد.

كما أعرف وتعرفون جيّداً، أنّ الإعلام، في بعض برامجه، يخون رسالته التوجيهية، ليسقط في وهاد الاجتذاب والإغراء والعنف.

ولكن الأهل قادرون، بسلطتهم الأبويّة، وبرعايتهم اليومية لأولادهم، على إنقاذهم من وحول هذه الوسائل الكريهة. ولا يدّعين أحد أن قصاصاً يفرضه الأبوان على ولدهما، هو نوع من العنف الأسري، فإن كان، فهو واجب، لإيقاظ الولد وانتشاله من مستنقع الضياع والجهل. (ولا يتّهمني أحد أنني ضدّ حقوق الطفل أو حقوق الانسان).

٢- ثمّ الى المدارس، لأقول، من باب مسؤوليتي، وأنا الذي استقبل هؤلاء التلامذة، بعد انتهاء دراستهم الثانوية: خمس عشرة سنة يقضي الولد في المدرسة.

جريمة كبرى أن يتخرّج، ليس ملمّاً بالقيم الروحية والأخلاقية والثقافية والانسانية الشاملة.

صحيح ان مناهج الدراسة تفرض أن نعلّم التلامذة، في المدارس، المواد المختلفة، ولكن ماذا ينفع إن علّمنا أحدث علوم العالم، وأفقدناهم روح المحبّة والعدالة والحريّة والسلام؟

تعالوا ندرِّس ونكرّس تعليم حقوق الانسان، ونزرع بذور الايمان الصحيح في قلوب تلامذتنا.

لا يمكننا كأهل، كمدارس، كجامعات، كوسائل إعلام، وكمسؤولين في الدولة، أن نتغاضى عن هذه الرسالة.

في إرشاده الرسولي "فرح الانجيل" للبابا فرنسيس سنة ٢٠١٣، يقول في رقم ٢١٩: *"السلام لا يقتصر على غياب الحروب، فلا مستقبل لسلام ليس ثمرة نمو الجميع، ولسوف يكون على الدوام بذارُ نزاعات جديدة وأشكال عنف مختلفة."*

نموّ الجميع يفترض فينا أن نجعل موضوع التربية المدنية والدينية والاجتماعية، موضوعاً يومياً في مدارسنا، فماذا ينفع الانسان لو ربح كل العلوم وخسر نفسه؟

أختصر فأقول: ان وزير التربية والتعليم العالي الأستاذ الياس بو صعب، ونتيجة المؤتمر الذي دعا إليه تحت عنوان: كلّنا للعِلم، في ٢١ نيسان الماضي، انتهى الى إعلان توصية أساسيّة تقول:

- إعادة النظر في الفلسفة التربوية للدولة بهدف وضع خطّة استراتيجية واضحة تلبّي الحاجات الحالية والمستقبلية في القطاع التربوي.

أجل: تعالوا الى وضع هذه الخطّة لتشمل في الأساس، تربية اولادنا، على المحبّة والحريّة والسلام، لا على العنف والحقد والجريمة. أما الباقي فتفاصيل.

أيها الأصدقاء

هذا هو ندائي اليوم، في عيد الجامعة، لكي يكون العيد المقبل، أكثر إشراقاً ونوراً وفرحاً.

على هذا أشكركم جميعاً، وأحيّي مجلس الرهبانية بشخص قدس الأباتي بطرس طربيه والمدبّرين الأفاضل، ومجلس أمناء الجامعة برئيسه وأعضائه، ومجلس الجامعة، بكلّ أشخاصه، شاكراً جميع الأساتذة والموظّفين وعمّال الجامعة على جهدهم المستمرّ لرفع المستوى وإضاءة الشموع.

أما أنتم، أيها الأصدقاء، أصحاب المعالي والسعادة والسيادة، فشكراً لكم على مبادراتكم السخيّة والكريمة والرائدة التي ستعلنونها، بعد دقائق، وهي، بالنسبة لنا، أوسمة نعلّقها على صدر الجامعة التي بفضلكم وبجهدكم، ستصل الى المستوى المرموق، لا سيّما، من حيث الدور الوطني والثقافي الأكاديمي المطلوب.

واسمحوا لي أن أختم رسالتي هذه، بصلاة تلاها الحبر الأعظم فرنسيس، وتوجّه بها الى مريم، شفيعة هذه الجامعة:

أيتها العذراء والأمّ مريم
أعطِنا الجرأة المقدّسة للبحث عن طريق جديدة
كي تبلغ الجميعَ
عطيّةُ الجمال الذي لا يذبل.
أنتِ، يا عذراء الإصغاء والتأمّل
ام الحبّ الجميل، عروس العرس الأبدي
تضرّعي من أجل الكنيسة
كي لا تنغلقَ على ذاتها أبداً، وأبداً لا تتوقّف في شغفها لإحلال الملكوت.
يا عذراء
ساعدينا على أن نُشعّ بشهادة الشراكة
والخدمة والإيمان
والعدالة وحبّ الفقراء
كي يبلغَ فرحُ الانجيل
حتى أقاصي الأرض

وألاّ تُحرم من نوره أي ضاحية.

يا أمّ الانجيل الحيّ

يا مصدر فرح الصغار

صلّي لأجلنا

آميـــــــــــــن. هللــــــويا.

(٢٤ ت٢ ٢٠١٣)